

عمان

في

كتابات جغرافية
القرنين الثالث
والرابع للهجرة

الدكتور عبد الأمير عيد دكسن

لا شك أن تاريخ عمان في العصور الوسطى لا يزال بكرا ، لم يعقد بعد بما يستحقه من عناية من لدن الباحثين المحدثين هذا النذر اليسير (١) مما كتب عن تاريخ هذا الجزء من الوطن العربي ، فإنه لا يزال بحاجة الى المزيد من الدراسات العلمية الموضوعية التي تكشف الغموض عنه وتجلي معالها التي لا يزال الكثير منها - مع الأسف - خافيا علينا .

ولعل هذا النقص في الدراسات عن تاريخ عمان الوسيط يعود بالدرجة الاولى الى قلة المادة التاريخية وندرتها في مصادرها التاريخية بشكل عام ، وذلك لأن رواياتنا التاريخية لم تكن لتعني نفسها كثيرا في المادة بأحداث الأصقاع الثانية من الامبراطورية العربية الاسلامية ، بل ركزت جل اهتمامها على أحداث مركز الخلافة وكذلك على ما يجري في تلك الأجزاء القريبة من المركز . وهكذا فإن أحداث تاريخ عمان لم يعالج الا باقتضاب شديد من جانب هذه المصادر .

ومع ذلك فإنه لمن الجائز أيضا أن تاريخ عمان في هذه الفترة كان قد كتب شأن شأن غيره من التواريخ الأخرى ولكنه لم يصل إلينا بشكته التام المتكامل بسبب كون غالبية سكان عمان في هذه الفترة التي نحن بصددنا من معتنقي مذهب الفوارج الاباضية ، وهذا بلا شك يعني أنهم كانوا خارجين على السلطة المركزية الشرعية ، الخلافة ، - وهكذا فمن غير المستبعد أن تكون السلطة آنذاك قد لعبت دورا في طمس أخبارهم ومنع تدوينها - هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الموقف العدائي بين السلطة وبينهم ربما كان قد جعل الرواة أنفسهم يتحيزون من تناقل مثل هذه الأخبار وتدوينها .

على أنه مما يضيف الى معلوماتنا عن تاريخ عمان في هذه الفترة موضوعة البحث ، وبعد جزءا من هذا النقص ، هو ما تجده في كتب الجغرافيين العرب والمسلمين وخاصة أولئك من القرنين الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي ، لكون كتاباتهم تتسم بتنوع من الأصالة بشكل عام ، رغم أن التأثير الجغرافي اليوناني يظهر في البعض منها . ومن بين جغرافيين هذه الفترة الذين ننوي أن

نستعرض ما قدموه من مادة عن عمان : ابن الفقيه الهمداني (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م)
 وابن خردادبة (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) ، وابن رسته (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ،
 وقدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) ، والهمداني (ت ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م) ،
 وابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٩ م) ، والمقدسي (ت حوالي ٣٨١ هـ / ٩٩١ م) ،
 والاصطخري (ت النصف الاول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) .

وتزداد أهمية المادة التي يقدمها هؤلاء الجغرافيون اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار
 أن منهم من كان يشغل وظائف في الدولة آنذاك مما يسر له الاطلاع على أمور عامة
 ودقيقة كتلك التي تتعلق بطرق البريد والخراج والتجارات وطرقها ووسائلها ، ومن
 ثم فإن هذه المادة التي يقدمها لنا جغرافيون هؤلاء هي أشبه ما تكون بمادة وثائقية
 حصلوا عليها بحكم الوظائف التي شغلوها .

لقد كان ابن خردادبة صاحب البريد في إقليم الجبال من بلاد فارس ، وكان
 ابن رسته يشغل منصباً حكومياً لا نعرف طبيعته بالضبط . أما قدامة بن جعفر فكان
 يتولى الخراج .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن كلا من الاصطخري وابن حوقل والمقدسي
 كان من أصحاب الرحلات والأسفار . فابن حوقل مثلاً شاهد جميع الأساقع التي كتب
 عنها وعابثها ما عدا الصحراء الغربية الكبرى فإنه يقر بعدم مشاهدته لها جميعها . أما
 المقدسي فقد سافر هو الآخر إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي المعروفة آنذاك عدا
 الأندلس والسند وسجستان . ومن هنا فإن ما ذكره بهذا الشأن كان وصف مشاهد
 معين مما يجعل لمادتهم أهمية خاصة تختلف عن تلك التي تقوم على السماع والرواية
 الشفوية فقط .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المقدسي يقدم مادة غزيرة عن عمان تمتاز
 بدقتها وتفصيلاتها مما جعله متميزاً عن أقرانه في هذا المجال .

ولسنا هنا في مجال الكتابة عن تاريخ عمان عامة أو التطرق إلى حدث من
 أحداثه ، بل نود أن نلفت النظر إلى المادة التي يقدمها هؤلاء الجغرافيون عن عمان
 وطبيعتها من خلال استعراضها مما قد يحين الباحث في هذا المجال ليضيفها إلى ما هو
 متوفر في كتب التاريخ المحلي ، وبذلك تكتمل الصورة لديه ، أو تكاد عن تاريخ هذا
 القطر الخليجي في العصر الوسيط .

اسماء عمان وموقعها وحدودها :

ينفرد كل من الهذاني والمقدسي من بين الجغرافيين الذين نحن معنيين بهم بذكر أسماء أخرى لعمان. فيذكر الاول : « وكذلك تسمى عمان منقطع التراب » (٢) . أي منقطع الأرض بالبحر . وهذا بلا شك انعكاس لطبيعة أرضها وموقعها الجغرافي . أما الثاني فيقول : « ... ومن المدن ما لها أكثر من اسم نحو عمان صحار مزون » (٣) . ولعل هذه التسمية الثانية ناتجة عن كون صحار وهي قصبة عمان الرئيسية حيث يصنفها على النحو التالي : « ... ليس على بر العين اليوم بلد أجمل منه حابر أهل حسن طيب نزه ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات ... » (٤) . ولذلك فقد أطلق اسمها على عمان من باب تغليب الجزء على الكل لأهميته .

وبينما لا يعطى الجغرافيون حدودا دقيقة لعمان فإن كلا من ابن رسته والمقدسي يفتقان على وقوعها في الاقليم الاول (٥) . ولكن المقدسي من جهة أخرى هو الوحيد بين الجغرافيين الذي يعتبر جزيرة العرب وقد جعلناه أربع كور جليلة وأربع نواح نفيسة والكور أولها الحجاز ثم اليمن ثم عمان ثم هجر والنواحي الأحقاف والأشجار ، الهامة ، قرع ... » (٦) .

كذلك ينفرد المقدسي بذكر مساحة عمان ويحدد بها ثمانين فرسغا مربعا : « و عمان كورة جليلة تكون ثمانين فرسغا في مثلها » (٧) .

أما الاسطخري فيدخل بلاد مهرة ضمن إقليم عمان استنادا الى السماع ويعترف بذلك إذ يقول : « وأما بلاد مهرة فإن قصبتها تسمى الفجر ... » ويقال أنها من عمان » (٨) .

من كل هذا يمكن الاستنتاج ان جميع هؤلاء الجغرافيين متفقين على أن عمان بلد متميز دون أن يحددوه بصورة دقيقة ، وحتى المقدسي الذي ميز نفسه بذكر مساحتها لم يذكر الزمن الذي كانت فيه كذلك ، خاصة وان الحدود السياسية والإدارية لم تكن ثابتة ، بل عرضة للتوسع والانكماش .

مدن عمان وضواحيها :

يحدد المقدسي عند ذكره عمان ستة عشر مركزا ، هي : صحار ، نزوة ، السر ، ضلك ، حقيقت ، دها ، سلوت ، جلفار ، سمدة ، لسيا ، ملح ، برنم ،

القلمة ، ضنكان ، مسقط ، توام • وقد أطلق على أولها وهي صحار اسم القصبية أي مركز عمان ، وأهم مدينة فيها • وقد وصفها بشكل مفصل على النحو التالي : « وهي قصبية عمان ليس على بحر الصين اليوم يلد أجل منه عامر أهل حسن طيب تراء ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات أخرى من زبيد وصنعاء ، أسواق عجيبة ، وبلدة طريفة ممتدة على البحر ، دورهم من الأجر والساج ، شاهقة نفيسة ، والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق ، ولهم أبار عذبية وقناة حلوة ، وهم في سعة من كل شيء • دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق وسفوة اليمن قد غلب عليها القرى ، الصلي وسط النخيل ومعد صحار على نصف فرسخ ثم بركت ناقة رسول الله (ص) (٩) قد بني أحسن بناء وهواء أطيب هواء من القصبية ومحراب الجامع يلوئب يدور تراء مرة أصفر وكرة أخضر وحينما أحمر » (١٠) •

أما الاصطخري فيقدم وصفاً آخر لصحار يستاز بالانقصاب فهو يقول : « وهي على البحر ٠٠٠ أحمر مدينة بعمان وأكثرها مالا ولا تكاد تعرف على شاطئ البحر • بجميع بلاد الاسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من يحار وبها مدن كثيرة ، وبلغني أن حدود أعمالها نحو ثلثمائة فرسخ » (١١) • وأخيراً يصفها الهذلي بكونها أهم كور عمان : « أرض عمان كورتها المنظمي صحار ، وأما قراها فأكثر مجامعها هرود من أوديتها » (١٢) •

ومن مقارنة هذه النصوص الثلاثة عن صحار يبعثها نجد أن المقدسي يتفرد بهذا الوصف الشامل الدقيق لصحار ، إذ لم يترك شيئاً إلا وصفه • ومن جهة أخرى يقدم المقدسي كذلك وصفاً للمراكز الخمسة عشر الأخرى فيقول : « ونزوة في حد الجبال كبيرة بنيانهم طين والجامع وسط السوق إذا غلب الرادي في الشتاء دخله • شربهم من أنهار وأبار قد التفت بها النخيل ، وشذك صغيرة في النخيل أبداً بها سلطان قوي لأنهم شراة حصاة ، وحفيت كثيرة النخيل من نحو هجر الجامع في الأسواق ، وسلوت مدينة كبيرة على يسار نزوة • ودبا وبلغفار وعما من نحو هجر قرينتان من البحر ، وسعد منبر لنزوة • ولسير وبلج وبرتم والقلمة وشنكان مدن أيضاً • والمسقط أول ما يستقبل المراكب اليمنية ورأيته موضعاً حسناً كثير الفواكه ، وتوأم قد غلب عليها قوم من قرينى فيهم بأس وشدة » (١٣) •

ولمينا عدا المقدسي لا يذكر أحد من جغرافييننا هؤلاء وصفاً لأي مدينة من هذه المدن سوى ابن الفقيه الذي يشير إلى مسقط من حيث موقعها فقط فيقول : « وهو آخر عمان » (١٤) •

وهكذا فالمقدسي لم يقتصر على ذكر أسماء المدن فحسب بل ميز بين صغيرها وكبيرها ، وصف أبنيتها وحدد موقع المسجد فيها وموقعها بالنسبة لبعضها البعض كما وصف حال أهلها وتوابع ولائهم السياسي وما بها من أشجار وطريقة الري فيها ، ومن هنا يظهر تفوقه على سواه .

خراج عمان :

يورد قدامة بن جعفر خراج عمان كما عمله ابن المديبر عام ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م ويحده كما يأتي : « ومقاطعة عمان من العين ثلاثمائة ألف دينار » (١٥) . أما المقدسي فيقول هذا الرقم من قدامة ولكنه يضيف إلى ذلك أمرا مهماً ذلك هو مقدار الضريبة التي كانت تؤخذ على كل نفلة فذكر : « يؤخذ بعمان من كل نفلة درهم » (١٦) .

على أنه مما يؤسف له حقا أن لا نجد عند الجغرافيين الأخوين ذكرا لخراج عمان أو ما يتعلق بذلك ، مما يجعل من المتعذر مقارنة الأرقام ببعضها والاستنتاج منها . ومع ذلك فبالإمكان القول أن هذا الرقم الذي أورده قدامة وأكدّه المقدسي يمكن الاستئناس إليه طالما أن قدامة هذا من المعنيين بالخراج والمهتمين به والمتولين به وإن كتابه يكاد يكون مكرسا له .

المسافات من وإلى عمان :

يحدد ابن الفقيه المسافة بين سيراك وسقط وهو آخر عمان به « مائتي فرسخ » (١٧) . أما ابن خرداذبة فيحدد المسافات من البصرة إلى عمان في البحر كالآتي : « من البصرة إلى عبادان اثنا عشر فرسخا ثم الغشبات فرسخان ٠٠٠ ومن الغشبات إلى مدينة البحرين في شط العرب سبعون فرسخا ٠٠٠ ومنها إلى الدردور مائة وخمسون فرسخا ثم إلى عمان خمسون فرسخا » (١٨) .

ويصف ابن حوقل المسافات بديار العرب قائلا : « أما المسافات بديار العرب فإن الذي يحيط بها من عبادان إلى البحرين نحو إحدى عشرة مرحلة ومن البحرين إلى عمان نحو شهر ومن عمان إلى أوائل مهرة نحو مائة فرسخ ٠٠٠ » (١٩) . ثم ينقل عن أبي القاسم المصري فيقول : « من عمان إلى عدن ستمائة فرسخ ، منها خمسون

فرسعة الى المشط عامرة وخمسون لا ساكن فيها الى اول بلاد مهرة وهي الشحر
وعطوها اربعمائة فرسخ والعرض في جميع ذلك من حصة فراخ الى ثلاثة
فراخ ٠٠٠ (٢٠) .

ويصف المقدسي الطريق من عمان الى مكة بعدد مسافته : « وان أردتها من
عمان فخذ من صحار الى نزوة ثم الى عجلة ٣٠ ميلا ثم الى عضوة ٢٤ ميلا وهو حصن
ثم الى بشر السلاج ٣٠ ميلا ثم الى مكة ٢١ يوما فيها اربع مياه وتمان في
وملة » (٢١) .

اما الاسطخري فيذكر : « ومن البحرين الى عمان نحو من شهر ومن عمان الى
أرض مهرة نحو من شهر » (٢٢) .

ولعل مما يلفت النظر هنا هذا الاختلاف الواضح عند هؤلاء الجغرافيين في
وحدة قياس المسافات ، فتجد ابن الفقيه وابن خرداذبة يستعملان الفراخ بينما
يستعمل ابن حوقل المراحل تارة والشهر تارة والشهر أخرى ، أما عندما ينتقل عن
أبي القاسم البصري فيرجع الى الفراخ في المسافات . أما المقدسي فعلافا لكل ذلك
يستعمل الليل بالدرجة الأولى واليوم بالدرجة الثانية . وأخيرا فالاسطخري استخدم
الشهر فقط كوحدة قياس للمسافات دون غيرها . والذي يمكن قوله هنا أن اليوم
والمرحلة متساويان عند هؤلاء الجغرافيين .

الطرق من وإلى عمان :

يصف ابن حوقل الطريق البري من عمان الى مكة بقوله : « يصعب سلوكه في
البرية لكثرة القفار وقلة السكان ولما طريقتهم في البحر الى جدة ٠٠٠ وكذلك ما
بين عمان والبحرين فطريق شاق يصعب سلوكه لتمايح العسرب وتنازعهم فيما
بينهم » (٢٣) . أما الهمداني فيذكر أن طريق الحج البري في زمانه « يأخذ على
بحرين وعلى الخن » (٢٤) .

وبينما يهتم ابن حوقل والهمداني في وصف طريق الحج البري من عمان الى
مكة وما فيه من صعوبات ومشاق ، نجد كلا من ابن خرداذبة وقدامة بن جعفر يصف
الطريق الساحلي من عمان الى مكة . فيذكر الأول : « من عمان الى فرق ثم الى
موكلان ثم الى ساحل هباء ثم الى الشحر وهي بلاد الكندر ٠٠٠ ثم الى مغلاف كندة
ثم الى مغلاف عبدالله بن مدعج ثم الى مغلاف لحج ثم الى عدن ، ثم الى

مقاص اللؤلؤ ثم الى مغلاف بني مجيد ثم الى المنجلة ثم السى مغلاف الركب ثم الى
 الشدب ثم الى مغلاف زبيد ثم الى غلافقة ثم الى مغلاف عك ثم الى الجردة ثم الى
 مغلاف حكم ثم الى عثر ثم الى مرسى شتكان ثم الى مرسى حلي ثم الى السرين ثم
 الى أهيار ثم الى الهرجاب ثم السى الشعبية ثم السى منزل ثم السى جدة ثم الى
 مكة (٢٥) - أما الثاني فيصفه على النحو التالي : « وأما من عمان الى مكة فعلى
 طريق الساحل المتنازل : فرق ، عركلان ، ساحل مناه ، بلاد الشعر ، مغاليف كتدة ،
 مغاليف عبدالله بن مذحج ، مغلاف لمج ، أبين ، عدن ، مقاص اللؤلؤ ، مغلاف
 بني مجيد ، المنجلة ، مغلاف الركب ، الشدب ، مغلاف رمح ، زبيد ، مغلاف عك ،
 الجردة ، مغلاف الحكم ، عثر ، فمن أراد طريق الجادة أخذ من عثر الى العرش ثم
 جاز على طريق الجادة المغاليف ومن أراد الساحل أخذ من عثر الى مرسى شتكان
 ثم الى مرسى حلي ثم السرين ثم أهيار ثم الهرجاب ثم الشعبية ثم منزل ثم جدة
 ثم مكة (٢٦) »

ومن المقارنة بين ما أورده الاثنان في هذا المجال نرى التشابه الواضح بينهما .
 رغم بعض الاختلافات البسيطة في بعض الأسماء . ولكن قديمة بن جعفر يبدو أتم
 وأكمل في وصفه لهذا الطريق إذ يذكر تفرعه عند عثر السى طريقين أحدهما برياً
 والاخر بحري ، ومن هنا يظهر تفوقه على ابن خرداذبة .

أما بالنسبة للطريق من البصرة السى عمان في البحر فيفتق الاثنان كذلك في
 وصفهما له بشكل عام عدا أن ابن خرداذبة يبدأ به من البصرة وينتهي بعمان في حين
 أن قديمة بن جعفر يبدأ به من عمان وينتهي بالبصرة . فيذكر الأول : « من البصرة
 الى عبادان ثم الى المدونة ثم الى عرقبا ثم الى الزابوقة ثم الى المقرء ثم الى عسي
 ثم الى المرسى ثم الى خليجة ثم الى حسان ثم الى القرى ثم الى مسيلعة ثم الى حمض
 ثم الى ساحل حجر ثم الى العقير ثم السى قطر ثم الى السبغة ثم الى عمان وهي
 صحار ودبا » (٢٧) .

أما الثاني فيقول : « والمتنازل من عمان السى البصرة السبغة وهي بين عمان
 والبحرين ، قطر العقير ، ساحل حجر ، حمض ، مسلحة القرنتين ، حسان ، خليجة ،
 المرسى ، عسي ، المقر ، الزابوقة ، عرقبا ، المدونة ، عبادان » (٢٨) .

الحياة الاقتصادية في عمان :

لم يمن الجغرافيون أنفسهم كثيراً في وصف الحياة الاقتصادية في عمان من
 حيث كونها زراعة وتجارة وصناعة . ومع ذلك فهناك اشارات كثيرة لكنها مقتضبة

تتعلق بهذه النواحي نجدها في كتاباتهم ، فيذكر ابن الفقيه ان عمان كانت مشهورة بالقني فيقول : « ٠٠٠ والقني من عمان » (٢٩) ثم يحدد ما فيها من أصناف الثمر فيذكر : « ٠٠٠ قالوا أجود ثمر عمان ن الفرض والبلق والخبرت » (٣٠) - وأخيرا يشير الى شهرتها بالأسماك قائلا : « ٠٠٠ ريف الدنيا من السمك ما بين ماهيرويان الى عمان » (٣١) - وفي موضع آخر يقول : « وفي السمك عمان » (٣٢) - ويذكر ابن الفقيه نقلا عن سليمان التاجر نسا يمكن أهمية عمان من الناحية التجارية وكذلك يعطي صورة عن طبيعة مياهها وحالة الرعي فيها فيقول : « ان أكثر السفن الصينية تحمل من البصرة و عمان وتعبا يسيراف وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر وقلة الماء في مواضع منه ، فإذا عبا المتاع استعذبوا الماء الى موضع منا يقال له مسقط وهو آخر عمان وبين سيراف وهذا الموضع نحو مائتي فرسخ ، وفي شرقي هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف ٠٠٠ وفي غربي هذا البحر جبل عمان وفيها الموضع الذي يسمى درودور وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلك فيه الصينية وفيه جبلا كبير وعير فإذا جاوزت الجبال صرت الى موضع يقال له صحار عمان فيستعذب الماء من مسقط من بشر فيها وهناك جبل فيه رعاء فتم من بلاد عمان فتختطف السفينة فيها الى بلاد الهند وتقصد الى كولوكلي وفيها مساحة لبلاد الهند وبها ماء عذب فإذا استعذبوا من هناك الماء أخذوا من المركب الصيني ألف درهم ومن غيرها عشرة دنانير الى العشرين دينارا » (٣٣) -

أما ابن خردادبة فيوضح أهمية موقع عمان في التجارة الدولية آنذاك من خلال وصفه لمسلك التجار اليهود الراذنية في نص طويل ننقله فيما يلي : « ٠٠٠ الذين (أي التجار اليهود) يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والأندلسية والصقلية وانهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برا وبحرا يجلبون من المغرب الخدم والجواري والفلسان والديباج وجلود الغز والفراء والسمور والسيوف ويركبون من فتحة في البحر العربي فيخرجون بالفرما وهم يحملون تجارتهم على الظفر الى القلزم وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون الى البحر الشرقي من القلزم الى الجار وجدة ثم يمضون الى السند والهند والصين فيحملون من الصين السمك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجوا الى القلزم ثم يحملونه الى الفرما ثم يركبون في البحر المغربي فرميا دخلوا بتجارتهم الى القسطنطينية فباعوها من الروم وربما صاروا بها الى ملك فرنية فيبيعونها هناك وان شاءوا حملوا تجارتهم من فرنية في البحر الغربي فيخرجون بانتطاكية ويسيرون على الارض ثلث مراحل الى الجابية ثم يركبون في الفرات الى بغداد ثم يركبون في دجلة الى الابله ومن الابله الى عمان والسند والهند والصين كل ذلك متصل بقطعه ببعض » (٣٤) -

ويصف ابن حوقل موارد عمان قائلا : « ... وعمان ناحية ذات أقاليم مستقلة بأهلها فسحة كثيرة النخيل والقواكه الجرومية من المؤز والرمان والتبغ ونحو ذلك وقصبتها صحار وهي على البحر وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة » (٣٥) . ويشير كذلك إلى وجود اللؤلؤ فيها ويقارن لك بما هو موجود منه في سرنديب فيقول : « وعمان وسرنديب في هذا البحر معدنان للؤلؤ » (٣٦) .

أما المقدسي فيتطرق إلى نواح عديدة من الحياة الاقتصادية في عمان فيقول : « ... والمسقط ... كثير القواكه ... وعمان كورة جليلة ... كلها نخيل وبساتين عامة سقيهم من أبار قريبة ينزعها البقر أكثرها في الجبال » (٣٧) . ويعود المقدسي فيذكر ما يرد إلى عمان من السلع التجارية : « ... فإلى عمان يخرج آلات العبادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والسام والماج واللؤلؤ والديباج والجوزع واليوافيت والابنوس والناجيل والقند والاسكندروس والعصير والحديد والرصاص والخيزران والفضار والعنبد والبلور والفلفل وغير ذلك » (٣٨) . ثم يشير إلى وحدات وزنها فيقول : « ولعمان المن » (٣٩) ، ولكنه لا يحدد وزنه . ثم يذكر دينار عمان وقيمته : « ودينار عمان ثلاثون درهما غير أنه يوزن » (٤٠) ولعل في هذا ما ينسب قول قدامة بهذا الصدد حيث يذكر « أن سعر الصرف ١٥ درهما بدينار » (٤١) .

وأخيرا فالاصطخري عند تعرضه إلى منتجات عمان الزراعية يذكر ما ذكره المقدسي حرفيا ولو بشكل مختصر : « عمان مستقلة بأهلها وهي كثيرة النخيل والقواكه الجرومية من المؤز والرمان والتبغ ونحو ذلك » (٤٢) .

مناخ عمان :

يصف ابن الفقيه بعض مظاهر مناخ عمان وما يعيش فيها من العشرات فيقول : « ... ما يقاسيه أهل عمان ... من أذى السمائم القائنة وما يعانيه من الهوام الكدر الغليظ والماء الساخن الزماني وكثرة الذباب والجملان والغنافس والبعيات والمقارب والجرادات والنسل والبعوض والبسق والجرس وذوات السموم القائنة والعشرات » (٤٣) . ثم يصف شدة حرارتها بشكل خاص فيقول : « حرها شديد وصيدها شديد » (٤٤) .

أما ابن حوقل فيسير إلى جانب آخر من جوانب مناخها لم يذكره غيره من الجغرافيين وهو سقوط الثلج في بعض مناطقها البعيدة عن البحر ولكنه لم يرد إلى

سمع عنه فهو يقول : « ١٠٠ وعمان بلاد حارة جرومية ، ويلفتني أن يمكن فيها بعيد من البحر ربما وقع تلج رقيق ولم أر من شاهد ذلك الا بالبلاغ » (٤٥) .

ويصور المقدسي ارتفاع نسبة الرطوبة في جو عمان فيقول : « وينزل عليهم الليالي شبه الدبس » (٤٦) .

هنا نجد الاصطخري يتفق مع ابن حوقل (٤٧) في نفسه المذكور اعلاه كلمة كلمة دون أي تغيير .

بعد هذا الاستعراض لما يقدمه جغرافيو القرنين الثالث والرابع الهجري / التاسع والعاشر الميلادي من مادة من عمان ، لا بد لنا أن نتساءل : ما هي القيمة التاريخية لهذه المادة ؟ وللإجابة على هذا السؤال لا بد لنا أن نؤكد الحقائق التالية : (أولا) انها مادة وفيرة من حيث الكمية خاصة اذا ما قارناها بما هو متوفر في مصادرنا التاريخية من نفس هذه الفترة التي نحن بصددها .

(ثانيا) انها من حيث النوعية تعتبر مادة جيدة لكونها تعتمد في معظمها على الملاحظة والمعاينة لا على البلاغ والرواية الشفهية ، الا في النذر حيث يشار الى ذلك كما هو موجود في مساق بحثنا هذا .

(ثالثا) ان طبيعة هذه المادة تختلف عن غيرها في كونها تشمل نواحي كثيرة لا تهتم بها كتب التاريخ العام أو المحلي ، مثال ذلك الوصف الدقيق والشامل للمدن كما على سبيل المثال وصف المقدسي لمدينة صغار الذي تجده فيما تقدم له أو في الإشارة الى الموازين والعمللة وطرق الري ووسائله ونوعية المياه والضرائب الزراعية وكمية الخراج وطبيعة المناخ ومناطق الرعي والمنتجات الزراعية والتجارات وطرقها وطرق الحج البرية والبحرية والمسافات بين الأقاليم وما يترتب على الموقع الجغرافي من أهمية تجارية إضافة لتخطيط المدن ونوعية بنسائها مساكن أهلها وحالهم وولاتهم السياسي أحيانا . وهكذا فاهمية هذه المادة كثيرة جدا .

(رابعا) على انه لا بد من القول هنا أن مما يقتضيه كتابات جغرافيتنا هؤلاء هو خلوها من أي وصف للأحداث السياسية في هذا الاقليم ، وكذلك عدم توفر الدقة في تحديد الأقسام الادارية — ان وجدت — في تلك الفترة .

المصادر والهوامش

- ١ - أنظر مثلا : عبد الرحمن عبد الكريم ، عمان في العصور الإسلامية الأولى ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي التجارة والاستثمار الإسلامية ، رسالة دكتوراه أقيمت من كلية الآداب - جامعة بغداد ، ١٩٧٥ .
- ٢ - الأكليل ، ج ٧ ، ص ٢٧٠ ، القاهرة ١٩٦٦ .
- ٣ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٣٠ ، لندن ١٩٠٦ م . ومزون من أسماء عمان بالفارسية ، وكانت العرب تسمى عمان المزون . وقال ابن بري والمزون قرية من قرى يسكنها اليهود والملاحون ليس بها غيرهم . أنظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٤٧ - ٤٨ .
- ٤ - أحسن التقاسيم ، ص ٩٢ .
- ٥ - الإعلاني القليسة ، لندن ١٨٩١ ، أحسن التقاسيم ، ص ٥٩ .
- ٦ - أحسن التقاسيم ، ص ٦٨ - ٦٩ .
- ٧ - نفس المصدر ، ص ٩٢ .
- ٨ - المسالك والممالك ، ص ٢٧ ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
- ٩ - أحسن التقاسيم ، ص ٩٢ - ٩٣ . (ولا أدري كيف وصلت تلك رسول الله إلى هناك وكيف كان بروكها) .
- ١٠ - أحسن التقاسيم ، ص ٩٢ - ٩٣ .
- ١١ - المسالك والممالك ، ص ٢٧ .
- ١٢ - صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٥ .
- ١٣ - أحسن التقاسيم ، ص ٩٣ .

١٤ - كتاب البلدان ، ص ١١ .

١٥ - نبذة من كتاب الفراج وصلة الكتابة ، ص ٢٤٩ ، ٢٥١ ، لندن ١٨٨٩ .

١٦ - أحسن التقاسيم ، ص ١٠٥ .

١٧ - كتاب البلدان ، ص ١١ .

١٨ - المسالك والممالك ، ص ٦٠ .

١٩ - صورة الارض ، ص ٤٥ ، (طبعة بيروت بلا تاريخ) .

٢٠ - نفس المصدر ، ص ٤٥ .

٢١ - أحسن التقاسيم ، ص ١١٠ - ١١١ .

٢٢ - المسالك والممالك ، ص ٢٢ .

٢٣ - صورة الارض ، ص ٤٧ .

٢٤ - صفة جزيرة العرب ، ص ١٤٩ .

٢٥ - المسالك والممالك ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

٢٦ - نبذة من كتاب الفراج وصلة الكتابة ، ص ١٤٧ - ١٤٣ .

٢٧ - المسالك والممالك ، ص ٥٩ - ٦٠ .

٢٨ - نبذة من كتاب الفراج وصلة الكتابة ، ص ١٤٣ .

٢٩ - كتاب البلدان ، ص ١٦ .

٣٠ - نفس المصدر ، ص ٣٠ .

٣١ - نفس المصدر ، ص ١١٤ .

- ٣٢ - نفس المصدر ، ص ١٢٥ .
- ٣٣ - نفس المصدر ، ص ١١ - ١٢ .
- ٣٤ - المسالك والممالك ، ص ١٥٤ - ١٥٥ .
- ٣٥ - صورة الأرض ، ص ٤٤ .
- ٣٦ - نفس المصدر ، ص ٥٢ .
- ٣٧ - أحسن التقاسيم ، ص ٩٣ .
- ٣٨ - نفس المصدر ، ص ٩٧ .
- ٣٩ - أحسن التقاسيم ، ص ٩٩ .
- ٤٠ - نفس المصدر ، ص ٩٩ .
- ٤١ - نبذة من كتاب الفراج ومسننة الكتابة ، ص ٢٤٩ .
- ٤٢ - المسالك والممالك ، ص ٢٧ .
- ٤٣ - كتاب البلدان ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- ٤٤ - نفس المصدر ، ص ٩٢ .
- ٤٥ - صورة الأرض ، ص ٤٥ .
- ٤٦ - أحسن التقاسيم ، ص ٩٥ .
- ٤٧ - المسالك والممالك ، ص ٢٧ .